المحاضرة الرابعة : المقاومات الشعبية الجزائرية في القرن 19 م .

شهدت الجزائر بداية القرن19 م تحولات سياسية أثرت على جميع ميادين الحياة بسبب إنهاء الحكم العثماني من جهة وتعرضها للإحتلال الفرنسي من جهة أخرى، إنه أبشع استعمار تعرضت له دولة عربية إسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وتعد 1827 م نقطة تحول في تاريخ الجزائر باعتبارها السنة التي اختارتها فرنسا إعلان عدائها على الجزائروا إقامة حصار بحري على طول السواحل ، متخذة من حادثة المروحة سببا في ذلك، كما حققت فرنسا عدة انتصارات من خلال حملاتها ضد الجزائر، وخاصة بعدما أجبرت الداي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م، وعلى الرغم من قوة فرنسا وهزائمها ضد الجزائر إلا أن الجزائريين رفضوا الاستسلام ، ومن بين الرجال الذين ثاروا ضد الاستعمار نجد الأمير عبد القادر الذي مهد لظهور ما يسمى بالمقاومات الشعبية التي جاءت كرد فعل طبيعي لمواجهة العدو الفرنسي ورفضه رفضا قطعيا .

ونظرا للأهمية التاريخية التي تكتسبها المقاومات الشعبية أرتأينا إلى تسليط لضوء على أخذ أهم هذه المقاومات وهي مقاومة الامير عبد القادر كونها تمثل مرحلة بالغة الأثر في تاريخنا المعاصر بظهور أولى المقاومات الشعبية التي شهدتها الجزائر بقيادة المحارب والفارس الأمير عبد القادر بن محي الدين .

واجه الجزائريون الاحتلال الفرنسي الذي تحول بحكم الغزو إلى استعمار بالمقاومة التي انتقلت بدورها من مقاومة رسمية عند بداية الاحتلال، إلى مقاومة شعبية اتصفت بعدة خصائص ومميزات ومنها استمراريتها وتواصلها الزماني والمكاني إذا توسعت وانتشرت في كل مناطق الجزائر.

- بداية المقاومات الشعبية الجزائرية ومضمونها:

1/ مفهوم المقاومة

إن المقاومة هي كل ردة فعل، ومواجهة العناصر الدخيلة، ورفض تقبلها وهي التصدي للاعتداءات التي تقوم بها الأطراف خارجية،.... وما داما الجزائريون لم يستجيبوا للأمر الواقع المفروض عليهم، فهم ما بين عام1830 حتى عام 1962في مقاومة جاء في موسوعة السياسية، المقاومة بالمعنى السياسي تعني الوقوف في وجه الاعتداء، سواء كان مصدره قوة أجنبية غازية، أو قوة داخلية مستبدة، من المعلوم أن الجزائر قاومت كل دخيل، ولم يستطع أي من الدخلاء أن يثبت أقدامه، ويفرض وجوده بقوته العسكرية، إلا أن مقاومتها للاحتلال الفرنسي كانت أشد وأشرس وأطول وأعنف [1]

وتعني المقاومة أيضا بأنها رد فعل أولي اتجاه الأعمال الوحشية للغزاة والتي وصفها مؤرخ فرنسي بقوله" ولم تعرف مدينة في العالم ما عرفته مدينة الجزائر من الفوضى يوم اجتاحتها القوات الفرنسية[2].

ومن خلال الدراسات التاريخية، يتضح بأن الثو ات الشعبية ابتداء 1830م،هي رد فعل وطني ومشروع مستمر ومتنوع، حسب الظروف المحيطة به ضد فعل استعمار مستمر وغير قانوني.[3]

2-المقاومات الشعبية الجزائرية أسبابها ودوافعها.

لقد اندفع لهيب المقاومة الشعبية المسلحة منذ الوهلة الأولى التي وطأت أقدام الغزاة الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر فما أن أنهار الحكم المركزي في مدينة الجزائر، حتى أخذ شيوخ القبائل والزوايا من الأعيان والعلماء على عاتقهم مهمة صفوف الشعب الجزائري، وتتخذ همه للذود عن أرضه وعرضه ودينه، فكان لهذا التحرك مفعول في تنظيم الكفاح، وعبر الشعب الجزائري عن رفضه للاستعمار بأشكاله المختلفة بالانتفاضات والثور ات والجهاد، وقد مست هذه الثورات والانتفاضات كل جهات الوطن[4]، فالمرجعية الوطنية

والدينية هي التي حركت المقاومة الشعبية وكانت بالتالي الأسباب العامة المشتركة لهذه الثورات.. فالعلاقة الكامنة بين العامة الشعب وإدارة الاستعمار هي التي أدت إلى وقوع هذه المقاومة الشعبية... أمام هذه الأسباب هناك دوافع محلية خاصة أدت إلى اندلاع هذه الثروات والانتفاضات في أقاليم معينة وفي فترة محددة، وبتالي فإن أي ثورة أو مقاومة شعبية تشترك في الأساليب العامة ولها دوافع محلية خاصة بها.[5]

إذا تركزت الكتابات التاريخية في تفسير أسباب حدوث هذه الثورات على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، من فقر ومجاعة، ومصادرة...، بينما ترى الكتابات التاريخية الجزائرية بأن العامل الوطني والحضاري الوطني أهم وأساسي ولا تلغي وجود الأسباب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية [6]ويمكن وصف مجمل الأسباب والدوافع إلى أدت الى ظهور هذه المقاومات الشعبية إلى ما يلي:

*رفض الشعب الجزائري للسياسة الاستعمارية

*طبيعة الاستعمار الفرنسي المبنية على سياسة الاستيطان والتنصير وفرض القوانين الاستثنائية ضد المسلمين من الجزائريين.

* الحالة العامة للجزائريين سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى تحضيرهم وتهيئهم للثورة والانتفاضة[7].

*مكانة قادة المقاومات (أحمد باي، الأمير عبد القادر، المقراني)، اصحاب علم، دين وجاه وسيف، وبالمثل الشيخ بوعمامة الذي كان مدرسا وأعضاء وذا مكانة عند القبائل الصحراوية وشيوخها، وهذا ما أقلق السلطات الاستعمارية[8].

*اعتماد فرنسا على سياسة تفكيك البنية الاجتماعية وتحطيم العائلات الكبرى وهذا ما أدى إلى وقوع اصطدام بينها ومصالح هذه العائلات.

*اعتبار بأن "الثورة" هي الحل الوحيد للخروج من المشاكل وتصفية الحسابات مع السلطات الاستعمارية، وهو ما حصل مع الباشا أغا المقراني[9].

*يمكن اعتبار سقوط الحكم الملكي في فرنسا عاملا تشجع سكان واحة لعمري على الثورة ضد الاستعمار الفرنسي[10] وغزو فرنسا لتونسي في 1881 من بين الأسباب الخارجية التي أثرت في وقوع المقاومات واستمرارها في الجزائر[11].

- الإطار العام للمقاومات الشعبية الجزائرية:

لقد تخصصت عدة كتابات هامة حول عموم الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر بنوع من التصنيف في الوصف والتحليل[12] وتناول أخرون مواضع البحث في مقاومة شعبية واحدة بمنطقة جغرافية محددة مثل ثورة المقراني، ثورة بوعمامة في الصحراء[13].

بعد الاحتلال مدينة الجزائر ظن الجنود الفرنسيون بأنهم استولوا على البلاد وأن عملية الاحتلال لا تعدوا أن تكون سوى نزهة عسكرية لجيشهم[14] لكن سرعان ما اصطدم الجيش الفرنسي برد فعل قوي من طرف الشعب الجزائري من خلال المقاومة الشعبية[15] ليلجأ المستعمر إلى رد فعل قوي دموي مبني على تقتيل وتدبير تنفيذ الأهداف الاستراتيجية وتأديب القبائل الثائرة في 26 نوفمبر 1830، فقدت الحامية الفرنسية في مدينة البليدة مذبحة رهيبة ضد السكان، كما أبيدت عدة قبائل وأحرقت بالكامل أهلها وحيواناتها[16] ولقد تعددت أساليب حرب الابادة والتمثيل الجماعي، والتي نصت بأمر من الجنرال "**كافيناك**" ومجزرة قبيلة أولاد رياح جنوب تنس تحت أوامر العقيد "**بيليسي**"ومن أجل التحكم في الوضع، أصدرت الادارة الاستعمارية الفرنسية موازية مع سياستها في قهر وا إبادة الشعب الجزائري، سلسلة من المراسيم، والقوانين الاستثنائية[17].

ومنها قرار "كلوزيل" الصادر في 07 سبتمبر 1830م، القاضي بمصادرة الأوقاف وأملاك الأعيان والدولة العثمانية[18]، وقانون انشاء المكاتب العربية[19] ومرسوم 31 جويلية 1845 القاضي بالسماح للعسكرين بحجز الأراضي الزراعية في حالة حدوث أي نشاط عدواني ضد فرنسا والقرار المتبني الصادر 22 أفريل 1863، ومرسوم كريميو 1870، الذي

كان يقضي بمنح المواطنة الفرنسية لكل يهود الجزائر وبصفة إلزامية، ومرسوم إنشاء المحاكم الزجرية 1902 وقانون التجنيد الاجباري الصادر 03 فبراير 1912[20].

رغم السياسة الاستعمارية المبينة على الادارة الجماعية والقهر والاستيطان، صمد الجزائريون في مواجهتهم للاستعمار، واستمرت المقاومات الشعبية عبر مناطق وأقاليم الجزائر[21].

كما يوضح الجدول التالي الإطار العام للمقاومات الشعبية الجزائرية(1830- 1916) واستمراريتها.

المقاومة	إطارها الزمني	المناطق	القيادة
ثورة الأمير عبد القادر	22 نوفمبر 1832 إلى 23 ديسمبر 1847	التيطري، سبدو، الزيبان، بيكرة، الصحراء، مليانة، معسكر، تلمسان	الأمير عبد القادر الطريقة القادرية
مقاومة أحمد باي	1837 إلى 1848	قسنطينة، بايل الشرق	أحمد باي
مقاومة بومعزة	1848 إلى 1849	الظهرة، الونشريس، مستغانم، الحضنة، أولاد رياح	محمد بن عبد الله الملقب بومعزة
مقاومة الزعاطشة	1848 إلى 1849	الأوراس، الزيبان، الزعاطشة، بسكرة، بوسعادة	محمد بوزيان الشريف بوعمار
الاغواط وتوغرت	04 ديسمبر 1852 إلى 29 نوفمبر 1854	الأغواط، توقرت، تيارت، غرداية	الشريف محمد بن عبد الله بن سليمان
ثورة القبائل	1851 إلى 1857	منطقة القبائل، بجاية، تيزيوزو، البويرة، بومرداس، بني عيسى، آيت تاوريرت	لالا فاطمة نسومر، الشريف بوبغلة
ثورة الأوراس	1858	منطقة القبائل، الوادي الكبير، خنشلة، عين البيضاء، بسكرة	محمد بن عبد الله
ثورة بني سناسن	1859	بني سناسن، الغزوات، تلمسان	/

ثورة أولاد سيدي الشيخ	1864 إلى1880	واحة البيض سيدي الشيخ، جبل عمور، سور الغزلان، تيارت، فرند، سعيدة	سليمان بن حمزة معمر بن الشيخ بن الطيب . زاوية أولاد سيدي الشيخ
ثورة جنود الصبايحية	جانفي 1871	سوق أهراس ، القالة	/
ثورة اولاد عبدون	14 فبراير 1871	قبيلة أولاد عبدون، الميلية	/
انتفاضة المقراني والشيخ الحداد	مارس 1871 إلى 20 جانفي 1872	برج بوعريريج، العلمن، سطيف، البويرة، تيزي وزو، بجاية، بومرداس	المقراني، الشيخ حداد، بوزراق، الزاوية الرحمانية
مقاومة العمري	مارس أفريل 1876	واحة العمري، الزيبان، قبيلة بوعزريد	الشيخ محمد بن يحيى بن عياش
ثورة الأوراس	ماي 1876 إلى جوان 1879	الاوراس، أولاد تالة، أولاد داود، بني بوسليمان، خنشلة، عين البيضاء بسكرة	أحمد أمزيان بن عبد الرحمان
مقاومة بوعمامة	أفريل 1881 إلى ماي 1883	عين الصفراء تيارت، فرندة، السعيدة، عين صالح، توات، قوزارة، كرزازة	بوعمامة بن عربي بن تاج السنوسية، الطيبية الكرزازية
انتفاضة مسيردة	1890	مسيردة، مغنية، تلمسان، لعشاش، جبانة، ندرومة،	الشيخ الخيضر محمد

		سواحلية، الغزوات	
ثورة عين التركي	1901	مليانة، شرشال، تيبازة، البليدة، الحجود، تنس	يعقوب بن الحاج
انتفاضة باتنة	1902	باتنة خنشلة، بسكرة، بريكة، سطيف مروانة، ميزاب	الشيخ عبد السلام
انتفاضة عين بسام	1906	عين بسام	/
ثورة بن شقران	1914	بني شقرون، باريفو (المحمدية)، معسكر، هاشيم	الشيخ بن علي النوي
مقاومة الصحراء	منذ 1906 إلى فيبراير 1919	ميزاب، ورقلة، القطار، الهقار، جانيت، تيندوف	أحمد سلطان الشيخ عبد السلام
انتفاضة الأوراس	1916	عين مليلة، باتنة، عين فكرون	بن علي بن نوي

المصدر: العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، ص ص 44 – 46.

- خصائص ومميزات المقاومات الشعبية (1830- 1916) في الجزائر.

كانت المقاومة الشعبية تنطلق بعد تزكية شعبية جماعية، عن طريق البيعة، كأسلوب ديني جماعي علني، وفي كثير من الأحيان، تحت تأطير الزاوية الدينية.

كان مجال المقاومة الشعبية هو الريف، مجسدا في القبيلة أو تجمع قبائل العشيرة، ومجوعة قرى، باستثناء مقاومة أحمد باي1837 التي كانت حول مدينة قسنطينة.

إن محفزات الثورة لدى الجزائري كانت دينية ووطنية، فالتمرد والثورة له ضرورة وحتمية لمحاربة المحتل.

اختلفت المقاومات الشعبية في وزنها وقيمتها، وتنوعت إلى ثورات صغيرة أو كبيرة، فكان البعض منها، ثورة منظمة مؤطرة وبأبعاد عسكرية، اقتصادية واجتماعية وسياسية (الأمير عبد القادر، الشيخ بوعمامة ...) وتميزت بنهرها ومراحلها العسكرية وابعادها الاستراتيجية[22].

---

[1] - محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية(1830- 1954م)، ص21.

[2] - بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي(1830- 1838)، ص93.

[3] - يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائريين ط خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص209

[4] - إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007ن ص13.

[5] - عيسى جعليط، مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في ق19ن ثورة الزعاطشة 1849، مجلة الباحث الجزائر، الجزائر نوفمبر 1986، ص37.

[6] - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص99.

[7] - عيسى جعليط، مقاومة سكان الواحات لاحتلال الفرنسي في ق19، المرجع السابق، ص221.

[8] - يحي بوعزيز، ثورة1871، دور عائلتي المقراني و الحداء، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، ص63.

[9] - شهرزاد الشلبي، ثورة واحة العامري، وعلاقتها بالمقاومة الشعبية، بمنطقة الزيبان خلال ق19، رسالة ماجستير في التاريخ، قسنطينة، 2009،ص44.

[10] - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص325.

[11] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، 1982، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص59.

[12] - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى عين ميلة، الجزائر، 2004، ص80.

[13] - يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ورائد الكفاح، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1964، ص186.

[14] - السعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر،(1830- 1962)، رواد الوطنية في القرن19، ج2، ط2، دار الأمل، تيزي وزوا، 2004، ص19.

[15] - بوعزة بوضرساية: الجرائم الفرنسية والادارة الجماعية في الجزائر خلال ق19،ط خاصة، وزرارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص121.

[16] - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر،(1830- 1956)، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاشهار الجزائر، 2008، ص28.

[17] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين19و 20، ط1، دار الهدى، قسنطينة، 1988، ص13.

[18] - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر(1830- 1989)، ج1، المرجع السابق، ص158

[19] -المكاتب العربية: أنشئت لأول مرة في 1833 بهدف احكام سيطرة فرنسا على السكان، وفي 1844، صدر قرار يحددها كلها، وكانت مهمتها جمع الضرائب ومراقبة نشاط السكان، للمزيد أنظر: عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول

ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830- 1962)، ج1، ط خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص342ز

- بشير بلاح، المرجع السابق،ص332.[20]

- يوسف فرحي، فرنسا صاحبة الطاقة أو 132سنة من عملية الاستعمار في الجزائر، دار حلب، الجزائر، ص56.[21]

- أحميدة عميرواي، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، 2003ن ص96.[22]